

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[528] أنَّهُ إذا رأى الإنسان عدوَّه يتربص به ويستعد لنقض عهده، ولديه قرائن على ذلك وعلائم واضحة أن ينهض لمواجهة قبل أن يستغفله ويعلن إلغاء عهده ويردُّ عليه بما يستحق. ثانياً: ما المانع من إلغاء العهود والمواثيق التي تُفرض في ظروف استثنائية على بعض الأمم والشعوب - فيضطرون مكرهين على قبولهم والرضا بها - من جانب واحد إذا حصلوا على القدرة الكافية لإلغائها. وعبادة الأصنام ليست عقيدةً ولا فكرياً، بل هي خرافة ووهم باطل خطر، فيجب القضاء عليها وإزالتها من المجتمع الإنساني، فإذا كانت قوة عبادة الأصنام وقدرتهم بالغة في الجزيرة العربية، وكان النّبـي(صلى الله عليه وآله وسلم) مجبوراً على معاهدتهم ومصالحتهم، فإنَّ ذلك لا يعني أنَّه لا يحق له إلغاء - معاهدته إذا ما قويت شوكته - وأن يبقى على عهده الذي يخالف العقل والمنطق والدراية. وهذا يشبه تماماً ظهور مصطلح كبير - مثلاً - بين عبدة البقر، فيقوم بعمل إعلامي كبير، وحين يواجه ضغوطاً شديدة يضطر إلى عقد هدنة بينهم وعندما يجتمع له أتباع بقدر كاف ينتفض لإزالة هذه الخرافة، والأفكار المنحطة، ويلغي معاهدته. ولهذا نلاحظ أنَّ هذا الحكم مختص بالمشركون، أمَّا أهل الكتاب وسائر الأقوام الذين كانوا في أطراف الجزيرة العربية من الذين كانَ بينهم وبين النّبـي نوع من المواثيق والمعاهدات، فقد بقيت على حالها ولم يُلغ النّبـي(صلى الله عليه وآله وسلم) مواثيقهم وعهودهم حتى وفاته. أضف إلى ذلك أن إلغاء عهود المشركين لم يكن قد حدث بصورة مفاجئة، بل أمهلوا مدَّة أربعة أشهر، وأُعلن هذا القرار في الملاء العام، وفي اجتماع الحاج يوم عيد الأضحى، وفي البيت الحرام، لتكون لهم الفرصة الكافية للتفكير، ولتحديد الموقف، لعلمهم يرجعون عن تلك الخرافة التي كانت أساس تفرقتهم